

التصوير الجداري والأثر السيكولوجي للألوان مقارنة بين الجداريات البيزنطية في سورية (ما بين القرن الرابع والخامس الميلادي) مع الفن الجداري المعاصر

كان الرسم الجداري من أقدم أشكال التعبير الإنساني التي عرفها الإنسان، إذ كانت جدران الكهوف الصخرية أول السطوح التي رسم عليها الفنان القديم لوحاته. وعلى مر العصور كان انعكاساً للمفاهيم الفكرية للحضارات. وانطلاقاً من أهمية فن التصوير الجداري في إضفاء نمط فني متميز عند الشعوب عبر التاريخ، فإن هذا البحث يهتم بهذا الفن المتميز ويسلط الضوء عليه، بدءاً بدراسة الفن البيزنطي والجداريات البيزنطية في سورية (في القرن الرابع والخامس الميلادي) ودراسة الأثر اللوني في تلك الجداريات على الإنسان، وذلك بالاستفادة من تقديم دراسة موسعة عن الألوان وإيحاءاتها النفسية ومدلولاتها الرمزية، وإسقاط ذلك على الجداريات البيزنطية.

كما يعرض البحث نماذج من الفن الجداري المعاصر في مناطق مختلفة من العالم، ويتحدث عن أسباب ظهور الفن الجداري المعاصر، على جدران الأبنية والأحياء الشعبية، وكيف أن الفن الجداري أصبح لغة بصرية عالمية تلامس الحياة اليومية، كالجداريات التي زينت عدداً كبيراً من الأبنية والأحياء في العالم. ثم يتطرق البحث لأسباب تأخر الفن الجداري المعاصر في سورية.. لأن الاهتمام بالفن الجداري في سورية لم يحصل على الاهتمام المطلوب بعد، إذا ما قورن بالفن البيزنطي الذي اعتبر الفن الجداري من أصل البناء. فتكاد لاتخلو عمارة بيزنطية في سورية أكانت كنيسة أو منزل من لوحة جدارية أو أرضية.

ثم يقدم البحث مجموعة من الدراسات الجدارية للطالبة لأماكن مقترحة من مدينة دمشق.

المنهجية المتبعة في الدراسة: هي الطريقة التحليلية والوصفية مع المقارنة. ويضم البحث مقدمة وخمسة فصول :

الفصل الأول:

يتحدث عن الفن البيزنطي بشكل عام (كيف ظهرت الأيقونة، وعن مواضيع الرسوم البيزنطية، والرموز والألوان في الفن البيزنطي) ثم ويقارن بين الفن البيزنطي والفنون الكلاسيكية الأخرى ويذكر هدف الفن البيزنطي، ثم ينتقل ليخصص الحديث عن الفن الجداري البيزنطي في سورية (ما بين القرن الرابع والخامس الميلادي) إذ تعد سورية مهد الفن البيزنطي، ففيها عدد كبير من الكنائس التي تعود إلى الفترة البيزنطية، كما يعرض البحث نماذج من لوحات الفسيفساء العديدة التي وجدت في تلك الكنائس البيزنطية والموزعة بين متاحف السورية، ثم يتحدث عن التقنيات التي استخدمت في تلك الفترة ويشرحها، كتقنية الفسيفساء والفريسك و تقنية الأيقونات.

الفصل الثاني:

يتحدث عن التصوير الجداري المعاصر في مناطق مختلفة من العالم، وكيف كان بدايات التصوير الجداري (نماذج اللوحات العشوائية) التي عبرت عن أفكار مجموعات من الشباب كالرسوم الجدارية التي تنحدر من أصل إفريقي، وكيف ظهر ما يعرف بالفن الشعبي (البوب آرت)، ثم كيف أصبح التصوير الجداري لغة عالمية، وفناً يدخل في حياة المشاهد في كل مكان (في الأنفاق وعلى الأبنية، وعلى الجسور..). وكيف استخدمت بعض الجداريات طريقة خداع البصر لتلافي جمود بعض الأبنية الاسمنتية ولرسم البسمة على وجوه المشاهدين ويستعرض البحث نماذج عديدة من هذا الفن الجميل..

الفصل الثالث:

وهو عبارة عن دراسة عن الألوان والقيم اللونية وخواص الألوان، ثم ينتقل إلى والمدلولات اللونية والحسية وأثرها على الإنسان وسلوكه ، وكيف أنه كان للألوان رموزاً ودلالات عبر العصور، وتختلف هذه الرموز باختلاف الثقافات. ثم كيف تؤثر الألوان على المشاهد وكيف ترتبط الألوان بخبرات وبذكريات سابقة فيختلف تأثيرها من شخص لآخر. وكيف أن لألوان معينة القدرة على التحفيز والإنتاج كاللون الأزرق. فلألوان دور كبير في خلق إنسان منتج يتمتع بنظرة إيجابية إلى الحياة ..

ثم يتحدث البحث عن الأثر اللوني والبعد النفسي للجداريات البيزنطية. وكيف أن الفنان البيزنطي استخدم الألوان بمفهومها الرمزي ، ودرس مواقع جدارياته كي يكون لها الأثر الأكبر على المشاهد. واستخدم اللون الذهبي بكثرة ليظهر عظمة الدولة البيزنطية.

ثم يتحدث عن الأثر اللوني والبعد النفسي للجداريات المعاصرة، وكيف أن الفن الجداري دخل في كل مكان ، وساعدت الألوان على تجميل الكثير من الأماكن والمساحات الإسمنتية المملة.

الفصل الرابع:

يتحدث عن التقنيات التي تستخدم في تنفيذ الجداريات المعاصرة كتقنية الفسيفساء، التي تطورت كثيراً عن استخدامها في الفترة البيزنطية، إذ أصبح للفسيفساء أشكالاً كثيرة ومختلفة سهلة التركيب والتنفيذ.

الفصل الخامس:

يتحدث عن التصوير الجداري المعاصر في سورية، ويعرض بعض النماذج منه التي زينت بعض الأبنية الخاصة، والتي كانت مواضيعها بشكل عام تاريخية تحكي البطولات والإنجازات المعاصرة، ثم يشرح الأثر اللوني والبعد النفسي لتلك النماذج، ثم يتحدث عن أسباب تأخر الفن الجداري المعاصر في سورية .. وكيف

أن الفن الجداري لم يستطع الدخول إلى الثقافة العامة لدى المشاهد. فافتصر تواجده على الأماكن الخاصة ومحبي الفن ومقتنيه.

ثم تقديم عدة دراسات تشكيلية (كترجبة مقترحة) لأعمال جدارية بأحجام مختلفة تناسب أماكن مختلفة في مدينة دمشق، لإضفاء طابع فني جمالي على مناطق مختلفة من أحياء المدينة، ويتضمن عرضاً للمواد التي يمكن استخدامها في تنفيذ الجداريات المقترحة.

كما يتضمن نتائج البحث ومنها نشر الثقافة الفنية والتوعية الفنية ابتداء من مدارس الأطفال، والاهتمام بدور الألوان في الفن الجداري في تكوين فن سوري متميز يعطي طابعاً خاصاً لمدينة دمشق.
